شـــرح

كشف الشبهات

تصنيف الإمام

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي

ت ١٢٠٦ رحمه الله رحمة واسعة

شرح فضيلة الشيخ

محمد ابن عبد الله المالكي

قَالَ المُصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

إِذَا عَرَفْتَ ذَٰلِكَ، وَعَرَفْتَ أَنَّ الطَّرِيقَ إِلَى اللهِ لَابُدَّ لَهُ مِنْ أَعْدَاءٍ قَاعِدِينَ عَلَيْهِ؛ أَهْلِ فَصَاحَةٍ وَعِلْمٍ وَحُجَجٍ، فالواجب عليك أن تعلم من دين الله مَا يَصِيرُ سِلَاحًا تُقَاتِلُ بِهِ هَٰؤُلَاءِ الشَّيَاطِينَ الَّذِينَ قَالَ إِمَامُهُمْ وَمُقَدَّمُهُمْ لِرَبِّكَ ﷻ: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف].

ولٰكِنْ إِنْ أَقْبَلْتَ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَأَصْغَيْتَ إِلَى حُجَجِ اللهِ وَبَيِّنَاتِهِ فَلَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ، ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النِّساء:٧٦].

وَالعَامِّيُّ مِنَ المُوَحِّدِينَ يَغْلِبُ أَلْفًا مِنْ عُلَمَاءِ هَٰؤُلَاءِ المُشْرِكِينَ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصَّافات]، فَجُنْدُ اللهِ تَعَالَى هُمُ الغَالِبُونَ بِالحُجَّةِ وَاللِّسَانِ، كَمَا أَنَّهُمْ هُمُ الغَالِبُونَ بِالسَّيْفِ وَالسِّنَانِ، وَإِنَّما الخَوْفُ عَلى المُوَحِّدِ الَّذِي يَسْلُكُ الطَّرِيقَ وَلَيْسَ مَعَهُ سِلَاحٌ.

قال الشارح وفقه الله:

يقول شَيْخ الإِسْلَام رَحِمَهُ اللَّهُ: (إِذَا عَرَفْتَ ذَٰلِكَ) ؛ أي: عرفت ما تقدم بيانه وهو أن الله سبحانه من حكمته لم يبعث نبيًا بهذا التوحيد إلا جعل له أعداء، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ﴾، وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة وحُجج كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾، أي من هذه العلوم التي يُناهضون ويُناقضون بها التوحيد، وإذا عرف هذا، (وَعَرَفْتَ أَنَّ الطَّرِيقَ إِلَى اللهِ لَابُدَّ لَهُ مِنْ أَعْدَاءٍ قَاعِدِينَ عَلَيْهِ)، لماذا قدر الله أن يكون هناك أعداء قاعدين على الطريق ليميز الله الخبث من الطيب، ليميز الصادق من الكاذب، فإن الناس لهم دعاوى كثيرة، كلٌ يدَّعي وصلًا بليلى، وليلى لا تُقر لهم بذاك، والدعاوى إن لم تقم لها بينات فأبناؤها أدعياء، فالله ﷻ جعل كما قال في آية الأنعام: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ﴾ الله الذي جعل، لماذا جعل؟ حتى يبتلي الناس، ويرى كيف يصنعون، لأن الله ﷻ أمرهم لما أهبط آدم وحواء وإبليس من الجنة قال: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة:٣٨]، أمر الله ﷻ أن يُتبع

هدى الله، ولا تُتبع خطوات الشيطان، لماذا؟ لأن الشيطان إنما يُريد لبني آدم السوء يُريد بهم الشر، يُريد لهم أن يدخلوا الناس ويخلدوا فيها معهم، كما قال الله ﷻ في سورة البقرة: ﴿وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة:١٦٨]، لا تحتاج أيها الإنسان أيها المُسلم إلى كثير عمل من أجل أن تعلم أن الشيطان عدوك، أو أن هذا من الشيطان هذا ما تحتاج.

ثم قال: صفة هؤلاء الأعداء الذين هم قاعدون على الطريق أنهم أهل فصاحة، لماذا أهل فصاحة، لماذا ذكر الإمام أول سمات، لأنهم إذا كانوا أهل فصاحةٍ كلام لبق كلام جميل سلبوا القلوب والألباب، واستمالوا النَّاس إليهم، ولذلك حذرَ النبي ﷺ من هؤلاء الذين يتكلمون فيأخذون بالألباب وهم في الحقيقة مخاصمون لله ﷻ وهم معارضون للسنة والكتاب، لذلك قال: أهل فصاحة أول صفة من صفاتهم أنهم أهل فصاحة، وعلمٍ يعني أنهم يتكلمون بعلم، لكن من الذي يُقارعهم؟ الذي يُقارعهم علماء من **أَهْلِ السُّنَّة**، فإنهم يعرفون زيف ما عليه هؤلاء من العلم، يعني يأخذون شيئًا يسيرًا من العلم، ويُلبسونه لكثير من الزَّيف والضلال، وهذا صنيع الشياطين والجن، حتى إذا استرقوا السمع من السماء صنعوا مثل هذا، أنهم يأخذون كلمة، ثم يبنون عليها كلامًا كثيرًا، ليُضلوا الناس عن سبيل الله.

ثم قال: (**وَحُجَجٍ**) يعني عندهم حجج قوية، لكنها قوية على الجاهل، على الذي لا يفهم الدين، الذي ليس عنده قلب سليم، فهذا تروج عليه حججهم، وأما **أَهْلِ السُّنَّة** حتى عوامهم لا تروج عليهم هذه الأباطيل والشُّبه.

قال: (**فالواجب عَلَيْكَ: أَنْ تعلم مِن دِينِ اللهِ**)، في بعض النسخ: (أن تتعلَّم)، وهي بتقدير حذف إحدى التائين، والمعنى واحد (تعلمَ) أو (تتعلَّم) المعنى أنك تُحصل علم هذا الشيء، تُحصل علمه تدرسه، ما هو؟ تعلم من دين الله ما يصير سلاحًا تُقاتل به هؤلاء الشياطين، فالمُقاتل لابد له من سلاح، فإن لم يكن معه سلاح غُلب، وإن كان السلاح موجود، ولكن حامله رعديد، يخاف من العدو ولا يستطيع المواجهة.. وكذا إذًا لا ينتصر عليه، لكن شجاعة بلا سلاح لا تنتصر، وسلاح بلا شجاعة لا ينتصر، لابد من الجمع بين الاثنين، سلاحٌ وشجاعة.

والرابط بينهما: هو الاعتقاد الصحيح والفهم السليم للدين الذي ينتج غالبًا من طلب العلم، ومن التعلم على العلماء، لهذا قال: (تُقَاتِلُ بِهِ هَؤُلَاءِ الشَّيَاطِينَ الَّذِينَ قَالَ إِمَامُهُمْ) إبليس هو إمامهم وهو وليهم، كما قال الله ﷻ: ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ [البقرة:٢٥٧]، ورأس الطواغيت الشيطان.

قال: (وَمُقَدَّمُهُمْ)، لأنه يأتي يوم القيامة أمامهم قائدهم، المُقدم بمعنى القائد هو قائدهم إلى جهنم وبئس المصير.

قال: (لِرَبِّكَ ﷻ)، يعني إبليس الذي لا يريد لنا الخير، خاطب الله الرحيم الذي رحمهم جميعًا فأخرجهم من دوائر الموت إلى دائرة الحياة، وبين لهم ما يُنجيهم في الآخرة، لكن هؤلاء ما اتضحت لهم الأمور، ولا استوعبوا، وما استوعبوا أن هذا الشيطان إنما يُريد ان يُلبس عليهم دينهم، ويُضللهم، وهم يقرؤون هذه الآية من سورة الأعراف يقرؤونها، يقرؤون قول الله ﷻ: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف:١٧].

لذلك فإنَّ إبليس -أعاذنا الله وإياكم من شره- يجتهدوا بكل ما أوتي من قوة من أجل أنْ يُضل من، لا يُضل الفاسدين، وإنما يُضل أن يُضل الصالحين، لأن الفاسد هنا لم يبق عليهم شيء يسير من عمل الشيطان حتى يتحولوا من حالة كونهم فاسدين إلى حالة كونهم مفسدين كغيرهم، وهذا إذا لم يلجأ الإنسان إلى الله ﷻ بإخلاص وصدق، فإنه يوشك أن يقع في مثل هذا البلاء العظيم.

ثم قال: (وَلَكِنْ إِنْ أَقْبَلْتَ إِلَى اللهِ تَعَالَى) (إلى) بمعنى على، أي أقبلت بالتوبة، أقبلت بالسؤال والابتهال أن يُثبتك الله كما صنع الخليل إبراهيم عليه السلام، وكما كان نبينا ﷺ كثيرًا يلتجئ إلى الله ليثبته وليبين له الحق، ولا يجعله ملتبسًا عليه، حتى النبي ﷺ بل كل الأنبياء.

قال: (وَأَصْغَيْتَ إِلَى حُجَجِ اللهِ)، الإصغاء يكون بالأذن، والحجج قد تكون بما يتوصل إليه بالأذن بالسمع أو بالبصر، أو باللمس أو بالإحساس، هذه كلها وسائل للوصول إلى حجج الله وبيناته على

خلقه، وقد سمى الله ﷻ حُجة قال: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥].

وأيضًا هناك حجج كآيات القرآن هي حججٌ على من تلاها لقوله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهوديًا كان أو نصرانيًا، ثم لا يؤمن بي، إلا أدخله الله النار»، لأن البلاغ وصلهم من طريق السمع من طريق الأُذن، وكذلك من طريق الرواية.

ثم قال: (**فَلَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ**) يعني إذا أنت أقبلت على الله واستمعت استماعًا دقيقًا إلى حجج الله التي بينها في القرآن، وبيناته التي أيضًا ذكرها في القرآن وفصلها النبي ﷺ في السنة عندئذٍ لا تخف ولا تحزن، على ماذا لا تخف ولا تحزن، لا تخف أن الشيطان وجنوده الشيطان حولك يريد إغواءك لا تخف لن يغووك، لأن الله ﷻ يقول: مِنْ آيَاتِ اللهِ مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف:١٧] . والإضلال الحقيقي إنما هو الذي يجعله الله ﷻ على ابن آدم بسبب تقصيره في حق الله أو نُكرانه حق الله.

إذًا يقول الإمام: إذا أقبلت على الله بالتوبة بالإنابة بالصدق بالإخلاص، بطلب العلم، الله ﷻ يُبارك لك في هذا العلم منه القدر الكثير في الزمن اليسير من الوقت القدر الكبير جدًا في الزمن اليسير، ومن أراد أن يتصور هذا فلينظر إلى مثل **شَيْخ الإسْلَام** ابن تيمية، **شَيْخ الإسْلَام** ابن تيمية إرثه العلمي كاد يكون مكتبة كاملة، وكذلك العلماء المشهورين، فإن الله بارك لهم في أوقاتهم وأعمالهم وأعمارهم.

قال: (﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النِّساء:٧٦])، الكيد هو المَكْر كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۞ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق:١٥-١٦]، وقال: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل:٥٠]. وقال: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٧٦]، والله ﷻ حكى النساء، ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف:٢٨]، فالحاصل أن الكيد هو بمعنى المكر والتدبير الذي يُراد منه إغواء ومثل ذلك.

قال: (﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٧٦]) إذًا نسب الكيد إلى الشيطان، ولو لم ينطبق ببنت شفه اليوم، لأنه قد أسلمه لعنق رجلٍ من بني آدم، وهو فقط يُتابع تحركات هذا الرجل.

ثم قال: (وَالعَامِّيّ) هو الذي لا يشتغل بطلب العلم، لأن كلما عنده يأتي على وجه العموم لا يعرف تفاصيل ودقائق مسائل العلم، لذلك يُقال له: عامي، والذي عنده دقائق وتفاصيل هذا يُسمى عالم، قال: (وَالعَامِّيُّ مِنَ المُوَحِّدِينَ)، العامي من الموحدين يعني إذا كان عالمًا بالتوحيد هو عاميٌ في بقية شؤون الدين، فلا يعرف مثلًا الأحكام لا يعرف المحرمات، ولا يعرف كذا، يعني كان فيها ضعيف المزاج، لكنه إذا كان موحدًا وهو عامي، من هو العامي الموحد الذي يعرف معنى: لا إله إلا الله وأركانها وشروطها الذي يفهم ويعرف وسبق أن درس كتب التوحيد والعقيدة مثل كتاب **شَيْخ الإِسْلَام** محمد بن عبد الوهاب «الأصول الثلاثة» و«كشف الشبهات» و«القواعد الأربع» و«كتاب التوحيد».. وإلى غيره من الكتب.

قال: (وَالعَامِّيُّ مِنَ المُوَحِّدِينَ يَغْلِبُ أَلْفًا مِنْ عُلَمَاءِ هَؤُلَاءِ المُشْرِكِينَ)، لماذا؟ لأنهم ليسوا على شيء، لأنهم تركوا الأثر وتركوا السنن الثابتة، وانفضوا إلى ما يتصورون أنه حقٌ وأنه صواب، وهو في الحقيقة باطلٌ وخطأ.

(وَالعَامِّيُّ مِنَ المُوَحِّدِينَ يَغْلِبُ أَلْفًا) وهذا حق ألفٌ بمعنى هذه الكلمة حقٌ ألف من علماء أهل الضلالة يغلبهم عاميٌ حاذق، لكن عامي حاذق.

قال: (كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصَّافات])، الجُند في اللغة: هم العسكر الكثيرون، ولكنْ هنا المقصود منها الملائكة ومَنْ أمرتهم الملائكة بأمر الله أن يُحدثوا كذا، أو يفعلوا كذا، فقال: (كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصَّافات]، فَجُنْدُ اللهِ تَعَالَى هُمُ الغَالِبُونَ بِالحُجَّةِ وَاللِّسَانِ، كَمَا أَنَّهُمْ هُمُ الغَالِبُونَ بِالسَّيْفِ وَالسِّنَانِ).

والمقصود بالسنان هو حد السيف القاطع، قال: (بِالسَّيْفِ وَالسِّنَانِ)، يعني الأسنان بالمعاوضة.

فجند الله الذين هم متمسكون بالدين ويتعلمون، يقرؤون ويتذاكرون مع أقرانهم حتى ينمو العلم، وهؤلاء الذين خلص لسانهم من هذه الآفات والمحرمات هؤلاء.

قال: (﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصَّافات]، فَجُنْدُ اللهِ تَعَالَى هُمُ الغَالِبُونَ بِالحُجَّةِ وَاللِّسَانِ، كَمَا

أَنَّهُمْ هُمُ الغَالِبُونَ بِالسَّيْفِ وَالسِّنَانِ، وَإِنَّما الخَوْفُ عَلى المُوَحِّدِ الَّذِي يَسْلُكُ الطَّرِيقَ وَلَيْسَ مَعَهُ سِلَاحٌ)، هذا هو الذي يُخاف عليه حقيقةً، أما الذي لا يسلك هذا الطريق فهذا يُخاف عليه، وإن كان عاميًا، ولو أن الأفضل أن الإنسان يرفع عن نفسه الأميَّة الدينية، وذلك بتعلم ما أوجب الله وما به أرسلَ الرُّسل.

ثم قال: (وَإِنَّما الخَوْفُ عَلى المُوَحِّدِ الَّذِي يَسْلُكُ الطَّرِيقَ وَلَيْسَ مَعَهُ سِلَاحٌ).

هذا يُخاف عليه رجل يدخل معركة بلا سلاح، ولو كان قويًا ضخمًا كبيرًا يستطيع يمسك رجلين من المقاتلين بيديه كل واحد بيد، ثم يلوح به في السماء ويرميهما بعيدًا حتى لو قلنا: أنه يستطيع هذا، لا زال يحتاج أن يتعلم لماذا؟ لأنه ربما حمل هذين المقاتلين كل واحد منهما في يد، ثم جاءه أقل منهم طولًا وضخامة، فيأتيه وهو منشغلٌ بهذين، يأتيه رجل صغير أو شابٌ صغير فيطعنه فيُرديه، لذلك قال: (وَإِنَّما الخَوْفُ عَلى المُوَحِّدِ الَّذِي يَسْلُكُ الطَّرِيقَ وَلَيْسَ مَعَهُ سِلَاحٌ)، ثم بعد ذلك شرع في بيان بعض الحجج والآيات والبراهين.

نستكمل الكلام فيها في الغد، والله تعالى أعلم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.